يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه
أجيب على التفسير الثاني بأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحا وبيتوا
أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا
أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا
دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع
ونواهيه ولا يخطر ببالهم إلا أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا
لأنفسهم أن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة
لا ينقصون بها عن الكذب ولما كان منهم عمل من لم يظن أن الله
عالم به قال تعالى محذرا أمثالهم عن أمثال ذلك ومكروا مكرا
وهو ما أخفوه من تدبيرهم الفتك بصالح وأهله ومكرنا مكرا أي
جزيناهم على مكرهم بتعجيل العقوبة وهم لا يشعرون أي لا يتجدد
لهم شعور بما قدرناه عليهم نشبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة
وقيل إن الله تعالى أخبر صالحا بمكرهم فتحرز عنهم فذلك مكر الله
تعالى في حقهم فانظر كيف كان عاقبة مكرهم في ذلك أنا دمرناهم
أهلكناهم وقومهم أجمعين روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب
يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة فنحن نفرغ منه
ومن أهله قبل الثلاثة فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي
قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب
حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم
أين هم ولم يدروا ما فعل الله بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في
مكانه بصيحة جبريل عليه السلام ورمي الملائكة بالحجارة يرونها
ولا يرونهم وقال ابن عباس أرسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة
إلى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم

من قومهم

فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم
وقال مقاتل نزلوا في سفح الجبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح
فجثم عليهم الجبل فأهلكهم وأهلك الله تعالى قومهم بالصيحة فتلك بيوتهم
أي ثمود كلهم خاوية أي خالية من خوى البطن إذا خلا أو ساقطة
متهدمة من خوى النجم إذا سقط ونصبه خاوية منصوب على الحال
والعامل فيها معنى اسم الإشارة وقرأ الكوفيون أنا دمرناهم بفتح
الهمزة إما على حذف الجار أي لأنا دمرناهم وإما أن يكون خبر مبتدأ
محذوف أي هي أنا دمرناهم أي العاقبة تدميرنا إياهم وقيل غير ذلك
والباقون بكسر الهمزة على الاستئناف وهو تفسير للعاقبة وقرأ
ورش وأبو عمرو وحفص بيوتهم بضم الباء الموحدة وكسرها الباقون
ولما ذكر تعالى هلاكهم أتبعه سببه بقوله تعالى بما ظلموا أي بسبب
ظلمهم وهو عبادتهم من لا يستحق العبادة وتركهم من يستحقها ثم زاد
في التهويل بقوله تعالى إن في ذلك أي هذا الأمر الباهر للعقول الذي
فعل بثمود لآية أي عبرة عظيمة ولكنها لقوم يعلمون وقريش تعلمها
أما من لا علم عنده فقد نادى على نفسه بعمى عن إدراكهم
ولما ذكر تعالى الذين أهلكهم أتبعه بذكر الذين نجاهم فقال
وأنجينا أي بعظمتنا وقدرتنا الذين آمنوا وهو الفريق الذين كانوا مع
صالح كلهم وكانوا يتقون أي متصفين بالتقوى الصافية كأنهم
مجبولون عليه فحملتهم تقيتهم ومنعهم ما يسخط الله وقاية من الأعمال
الصالحة ولما ذكر تعالى قصة صالح عليه السلام أتبعها قصة لوط
عليه السلام وهي القصة الرابعة بقوله تعالى ولوطا وهو منصوب
عطفا على صالحا أي وأرسلنا لوطا وإما عطفا على الذين آمنوا أي
وأنجينا لوطا وإما باذكر مضمرا ويبدل منه على هذا إذ أي حين